دراسات إفريقية

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد

- القرآن وعلم الهجاء
  الدكتور جعفر ميرغني
- نشوء الدولة السودانية : منظور أركيولوجي - تاريخي
  الدكتور عبد الرحيم محمد خبير
- المسألة السودانية بين يدي العقد الأول من فواتيح الألفية الثالثة
  البروفسير حسن مكي محمد أحمد
- أولية الشعر العربي التشادي
  الدكتور عبد الله حمدنا الله
- أحمد بن إدريس المغربي وآثاره العلمية
  الدكتور يحى محمد إبراهيم
- النمو السكانى في إفريقيا
  البروفسير مصطفى محمد خوجلى

العدد الثامن والعشرون - السنة الثامنة عشر - ديسمبر ٢٠٠٢م / شوال ١٤٢٣هـ

اللغة العربية في إثيوبيا

أ . عمر السيد عبدالفتاح عامر*

المقدمة :

إثيوبيا من الدول التي تتعدد فيها اللغات واللهجات ، ويتراوح عدد اللغات الوطنية بها مابين ٧٠ – ٨٠ لغة ، ومن بين هذه اللغات هناك أربع أو خمس لغات ذات أهمية كبيرة ، وهذه اللغات تنال أهميتها إما بسبب عدد متحدثيها كلغة أو بسبب أهميتها السياسية والثقافية والدينية أو بسبب حجم استخدامها كلغة ثانية.

وتأتي اللغة الأمهرية في مقدمة هذه اللغات فهي اللغة الرسمية لدولة إثيوبيا وهي لغة الإدارة والمصالح الحكومية ، كما تستخدم في المدارس الحكومية وخاصة في مراحلها الأولى وتصدر بها غالبية الصحف في إثيوبيا ، وتعتبر اللغة الأمهرية لغة أم لحوالي ٣٠ مليون نسمة (١) وذهب البعض إلى أن عدد متحدثيها يصل لحوالي ١٠ –١٢ مليون نسمة (٢) وكذلك فهي تعد لغة ثانية لقطاع عريض من الإثيوبيين وربما تكون اللغة الثانية لبقية الشعب الأثيوبي ، حيث تعتبر اللغة الأمهرية هي لغة التعامل Lingua franca بين سكان إثيوبيا ، ومن اللغات الهامة أيضا نجد اللغة الأورومية وهي لغة قبائل الاورومو (الجالا) ويزيد عدد متحدثيها عن ٧ ملايين متحدث (٣) كما تعد اللغتان التيجرنية والصومالية من اللغات الهامة أيضا في إثيوبيا.

أما باقي لغات إثيوبيا فإنها تشمل العديد من اللغات التي تتحدثها أعداد صغيرة غالبا ما تكون عدة آلاف ، وإن كان هناك حوالي ١٢ لغة محلية في إثيوبيا يتحدث بها أكثر من مائة ألف متحدث كلغة أم لكل واحد منهم (٤) ، ومن هذه اللغات اللغة العفرية والهررية والجوراجية والبيجا وغيرها.

وبالإضافة للغات المحلية الإثيوبية توجد عدة لغات أجنبية ذات أهمية ووضعية خاصة في إثيوبيا وتأتي اللغة الانجليزية علي رأس هذه اللغات من حيث الأهمية فعلي الرغم من

* أستاذ مساعد ، قسم اللغات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة، ج. م . ع

العدد القليل الذي يتحدثها كلغة أم في إثيوبيا إلا أنها تتمتع بمكانة كبيرة حيث تعتبر اللغة الرسمية الثانية لإثيوبيا ، فهي لغة التعليم في المدارس الثانوية الحكومية وفي التعليم الجامعي ، كما أن لها أهمية كبيرة في مجال التجارة والاتصالات الدولية (٥) ويمكننا أن ننظر اليها من هذه الناحية كإحدي اللغات الهامة في إثيوبيا.

كذلك تتمتع اللغة الإيطالية بأهمية ما في إثيوبيا ، فقد دخلت إثيوبيا منذ مايقرب من قرن من الزمان واستخدمت في عدة مجالات هامة، فاستخدمت كلغة وطنية لعدد من الإيطاليين الذين استقروا في إثيوبيا واستوطنوا بها ، كما استخدمت كلغة ثانية لعدد من الإثيوبيين ، كذلك تم استخدامها كلغة تعامل في مجال العمل والصناعة.(٦)

أما اللغة العربية فإنها تتمتع بوضع ومكانة متميزة علي الخريطة اللغوية لإثيوبيا ، فقد استقرت اللغة العربية في إثيوبيا منذ وقت طويل يسبق دخول أي لغة من اللغات الأوربية إلي إثيوبيا ، وتحدث بها عدد كبير من الإثيوبيين وانتشرت بينهم انتشارا كبيرا.

وفي السطور التالية سنتناول فى هذا المقال وضع اللغة العربية في إثيوبيا ، حيث ستبدأ بالقاء الضوء علي الخلفية التاريخية لانتشار اللغة العربية في إثيوبيا (مراحل الانتشار – عوامل الانتشار – مظاهر الانتشار) ثم ننتقل بعد ذلك لتناول الوضع الحالي للغة العربية في إثيوبيا ومعوقات انتشارها (تأثير اللغات الأوربية والاستعمار – السياسات اللغوية – الوضع الحضاري والثقافي للعرب) وتختتم الورقة بالخاتمة والخلاصة.

الخلفية التاريخية لانتشار اللغة العربية في أثيوبيا :

مرت اللغة العربية بمرحلتين اساسيتين من الانتشار في أثيوبيا ، المرحلة الأولي هي مرحلة التهيوء وتشمل الفترة السابقة لظهور الإسلام حتي بداية انتشاره الحقيقي في إثيوبيا . والمرحلة الثانية هي مرحلة الازدهار وهي الفترة التي بلغ الإسلام فيها أوج ازدهاره وانتشاره وشهدت الحبشة (إثيوبيا) قيام ممالك إسلامية بها وهذه المرحلة شهدت ازدهارا حقيقيا للغة العربية في إثيوبيا .

أولا : مرحلة التهيوء:

عرفت اللغة العربية طريقها إلى الحبشة منذ فترة بعيدة ، فالجوار الجغرافي بين شبه الجزيرة العربية والحبشة أدى إلى قيام علاقات متعددة بين الجانبين ، وقد ساعد على ذلك أن الفاصل بينهما هو البحر الأحمر الذي تضيق شواطئه وتتقارب وتكاد تلامس بعضها

البغض عند مضيق باب المندب ، وقد تبادل الجانبان العلاقات ، فقامت علاقات تجارية وسياسية وهجرات متبادلة مما أحدث نوعا من التأثير والتأثر ، فقد هاجرت بعض القبائل العربية الى الحبشة وأثرت فيها أيما تأثير ، حيث كان هؤلاء المهاجرون أكثر تقدما ورقيا من أهل البلاد الأصليين فأثروا في المناطق التي نزلوا بها حتى أن اسم الحبشة ذاته مأخوذ من اسم إحدى هذه القبائل العربية المهاجرة إلي الحبشة والتي تسمي (حبشة) أو (حبشات) (٧) ، كما أن لغة الحبشة القديمة (اللغة الجعزية) اكتسبت اسمها من اسم إحدى القبائل العربية المهاجرة وهي قبيلة (الأجاعز) أي الأحرار(٨)

كذلك قامت علاقات تجارية بين الجانبين ، فقد كانت الحبشة منذ أقدم الأزمنة سوقا تجارية هامة فقد كانت موردا لاينضب لعدد من الرقيق الذي كان مطلبا من أهم مطالب الدول القوية القديمة ، كما كانت غنية بالأخشاب والتوابل وسن الفيل والجلود ، وقد قام التجار العرب وخاصة اليمنيون بدور كبير في تصريف هذه التجارة ، فقد اتخذوا من ساحل إفريقيا الشرقي موطنا لهم ، وعملوا على نقل هذه المواد الى الدولة الرومانية الشرقية عبر مكة ويثرب وإلى الدولة الفارسية عبر اليمن وحضرموت (٩) ، وقد تحولت هذه العلاقات الي علاقات سياسية وحربية في كثير من الفترات ، حيث عملت الحبشة على حماية طرق تجارتها فغزت اليمن أكثر من مرة واحتلتها في الفترة مابين سنة ٣٠٠-٣٧٨م حين استطاع اليمنيون طرد الأحباش ، وكرر الأحباش الأمر مرة اخرى واستمرت العلاقات بين الجانبين في توتر وشد وجذب لفترة طويلة حتى قبيل ظهور الإسلام.

ويلاحظ أن اللغة العربية في هذه الفترة لم يتعد استخدامها في الحبشة نطاق المعاملات التجارية مع العرب ولم تتجاوز الساحل الشرقي للحبشة ولم تتوغل داخلها ، ولذا يمكننا أن نعتبر الفترة التي سبقت ظهور الإسلام عبارة عن بواكير وإرهاصات لدخول وانتشار اللغة العربية إلى الحبشة.

ثانيا : مرحلة الازدهار:

مع ظهور الإسلام شهدت اللغة العربية مرحلة جديدة من مراحل الانتشار في اثيوبيا ، حيث حمل الإسلام اللغة العربية معه حيثما حل وأينما ارتحل وسارت اللغة العربية بجانب الإسلام تنتشر حيث ينتشر وتستقر حيث يستقر ، فمع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، بدأت قريش تضطهد المسلمين فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، واستقر المهاجرون المسلمون هناك فترة من الزمن ، وإذ كانت هذه

الهجرة لم تترك أثرا يذكر في نشر الإسلام أو نشر اللغة العربية في الحبشة إلا أنها كانت بمثابة تعريف للأحباش بهذا الدين الجديد الوافد من جزيرة العرب .

وبعد ان انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ودانت بلاد العرب للمسلمين ، وأصبحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ، كما أسهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر ، وعبرت مجموعة قليلة من تجار العرب الساحل الغربي للبحر الأحمر ، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية وأسسوا لهم مراكز استقرار بالتدريج على الساحل الحبشي (١٠) وبدأ العرب في الظهور كقوة فتية على الساحة العالمية ، كما أخذ الإسلام يسير بخطى واسعة واستقر في الساحل الشرقي للحبشة وتكونت للمسلمين مراكز استقرار على طول الساحل الشرقي لافريقيا ، وامتزج المسلمون العرب بالوطنيين وصاهروهم فأخذ الإسلام واللغة العربية ينتشران تدريجيا ، واعتنق كثير من سكان الحبشة الإسلام مثل قبائل الساهو والعفر في شرق الحبشة والسيدامو وشوا في جنوب الحبشة كما تأثرت به ايضا القبائل الصومالية ودخل كثير من البجا في الإسلام (١١) وكان كلما انتشر الاسلام في مكان أسرع إليه الفقهاء والعلماء وأقاموا الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم اللغة العربية ومباديء الدين الإسلامي ، وقد كان لهذه الحركة التعليمية أثر كبير في انتشار اللغة العربية بين هذه القبائل التي اعتنقت الإسلام حيث استخدموها كلغة دينية ووسيلة لإقامة شعائر دينهم ، فكان كل داخل في الإسلام يتعلم حفظ ما يستطيع أن يقيم به صلاته ثم يمضي الي تعلم اللغة العربية ليزداد تفقها في الدين ، كما استخدم الأحباش اللغة العربية كلغة تعامل مع التجار العرب المسلمين ، وكلغة تعامل مشتركة فيما بينهم لأن كل قبيلة من هذه القبائل لها لغتها الخاصة بها والتي لاتفهمها القبائل الأخرى ولذلك فقد استخدمت اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – كلغة تعامل Lingua Franca بين هذه القبائل ، فقد جعل الإسلام من اللغة العربية لغة عالمية للتفاهم كما أضفى علي هذه القبائل نوعا من الوحدة الثقافية .

ولم يتوقف انتشار اللغة العربية على الساحل الشرقي للحبشة فقط بل امتد الي داخل الحبشة نفسها ، حيث حملها إلى الداخل التجار العرب والدعاة والمعلمون وحملتها القبائل العربية المهاجرة والطرق الصوفية إلى أعماق الهضبة الحبشية .

وقد شهدت اللغة العربية مرحلة من الانتشار والازدهار الكبيرين وقد ارتبط ذلك بالتوسع الإسلامي الكبير في الحبشة ، من أبرز فترات التوسع الإسلامي في الحبشة نجد

الفترة مابين القرنين ١٠ و ١٢م حيث تعتبر هذه الفترة فترة التوسع المنظم للإسلام دينا ودولة حيث ظهرت الممالك الإسلامية في الحبشة ، وشهدت ازدهارا لنشر العقيدة الإسلامية وتدعيم سلطان الممالك الإسلامية داخل الوطن الإثيوبي ، وهذه الممالك اشتهرت وذاع صيتها وعرفت باسم ممالك الطراز الإسلامي واشتهرت في هذا الطراز إمارات سبع هي : اوفات ، دارداو ، ارابيني ، هدية ، شرخا ، بالي ، دارة ، وقد اتسم تكوين هذه الممالك بصفة عامة بالطبع السلمي التجاري ، إذ امتلك المسلمون ناصية التجارة الداخلية والخارجية وقد ارتبطت هذه الممالك بالعالم الإسلامي الخارجي عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم للدراسة في المدينة المنورة ودمشق والقاهرة (١٢) ، وقد اهتمت هذه الممالك بالتعليم الإسلامي فانشئت المدارس المختلفة لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم اللغة العربية بالاضافة الي تدريس العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية ، وقد انتشرت اللغة العربية في هذه الممالك بشكل كبير حيث إن أهالي البلاد كانوا يتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغاتهم المحلية ، فقد كان أهل أوفات يتحدثون العربية الي جانب لغاتهم الحبشية (١٣) ، كما ذكر أحد الكتاب أنه في أثناء زيارته لمدينة دارداو وجد أن اللغة العربية في هذه البلدة هي اللغة السائدة وهي اللغة الأولي التي يتكلم بها أهلها حتي النساء والأطفال الصغار وهم يتكلمون بها بفصاحة حتي يخيل إليك إذا سمعتها أنك في بلد عربي (١٤).

وشهدت اللغة العربية مرحلة أخرى من الازدهار في القرن السادس عشر وهذه المرحلة ارتبطت بالموجة الجديدة لانتشار الإسلام ، ففي هذه الفترة شهدت حركة انتشار الإسلام أكبر قوة لها مع ظهور الإمام أحمد بن ابراهيم الذي استطاع توحيد مسلمي إثيوبيا وأخذ يستولي علي المدن الإثيوبية الواحدة تلو الآخرى حتى دانت له البلاد بالولاء والطاعة ودخلت أغلب أقاليم اثيوبيا في طاعته وتحت سيطرته عدا أجزاء محدودةمنها ، واستمر جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم حوالي خمسة عشر عاما قبل أن يتدخل البرتغاليون في ساحة الصراع والأحداث التي انتهت باستشهاده ، وبدأت سلطة المسلمين بعد ذلك في الضعف والتقلص بعد أن كانت وصلت إلى أوج ازدهارها وأقصى توسعها، وكان لهذه الفترة من التوسع أثر كبير في توطيد قواعد الإسلام ونشر اللغة العربية في أنحاء اثيوبيا ، حيث امتد الاسلام ووصل الي مناطق وأراض لم يكن قد وصلها من قبل .

وقد شهدت اللغة العربية نهضة أخرى في القرن التاسع عشر أثناء عصر الفوضى الذي ساد الحبشة ، فقد كان الإسلام في بداية القرن التاسع عشر يمر بفترة ركود فقد أثناءها

حماسه ونشاطه في التقدم والانتشار ، ولكنه استعاد نشاطه من جديد في تلك الفترة وتمكنت مدينة هرر في تلك الأثناء من استعادة نشاطها كمركز للإشعاع الإسلامي ، وانتشر الإسلام في منطقة عروسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أما مملكة الحبشة نفسها (فوق الهضبة الحبشية) فقد بلغ انتشار الإسلام فيها مبلغاً كبيرا عن طريق اسلام قبائل الجالا (الاورومو) الذين استقروا فوق الهضبة(١٥) وإذا كان التعليم الإسلامي قد انحصر منذ عهد بعيد في المدن الساحلية ومدينة هرر فقط فإنه في خلال القرن التاسع عشر كان للنهضة الإسلامية أثر كبير في انتشار الإسلام واللغة العربية في كل الأنحاء ، حيث قام المشايخ بتأسيس جميع أنواع المدارس في المدن والمراكز الإسلامية (١٦) وذلك من أجل تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية.

عوامل انتشار اللغة العربية فى أثيوبيا:

هناك عدة عوامل تضافرت سويا وأدت إلى انتشار اللغة العربية في اثيوبيا ، ومن أهم هذه العوامل نجد :

١- العامل الدينى:

يأتي العامل الديني في مقدمةعوامل انتشار اللغة العربية في اثيوبيا ، فقد أخذ الإسلام ينتشر شرقا وغربا فدخلت بلاد العرب في الإسلام ولحقت بها الشام والعراق وفارس وغيرها من البقاع ، وسارت اللغة العربية مع الإسلام جنبا إلى جنب فحيث انتشر الإسلام واستقرت قواعده انتشرت اللغة العربية ، فمع اعتناق أي فرد من الأفراد للدين الإسلامي لابد له من الإلمام علي الاقل ، ببعض الآيات القرآنية حتى يؤدي بها صلاته وواجباته الدينية ، ولذلك فإنه لابد أن يكون علي علم ولو ضئيل باللغة العربية ، أما من يريد أن يفهم دينه ويتبحر فيه فلابد له من الإلمام الجيد باللغة العربية حتي يستطيع قراءة القرآن الكريم وفهمه وقراءة شروحه وتفاسيره وبهذه الطريقة حمل الإسلام اللغة العربية معه حيثما حل واينما ارتحل علي نحو يجعل للعربية درجة من الانتشار في كل المناطق التي تضم جماعات مسلمة ، ولم تكن الحبشة بمعزل عن هذا الأمر فانتشار الإسلام بها ادى إلي إنتشار اللغة العربية .

٢- دور التجار :

لعب التجار دوراً قويا في انتشار اللغة العربية في إثيوبيا ، فإذا كان بعض التجار العرب قد استقروا قبل الإسلام على الساحل الشرقي للحبشة وعملوا في التجارة فإنه

بعد الإسلام كثر عدد التجار العرب بشكل كبير وأقاموا مراكز استقرار لهم على طول الساحل ، كما نشأت الكثير من المدن الساحلية التي تحولت الى مراكز تجارية هامة ، ولم يكن من المعقول أن يظل النفوذ العربي الإسلامي حبيسا في هذه المدن الساحلية بل كان لابد أن ينفذ إلى المناطق الداخلية ، فكان هؤلاء التجار هم الوسيلة والعدة في نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية ، فقد كانوا يرحلون الى المناطق الداخلية التماسا للتجارة ، وكانوا يقيمون بها بعض الوقت ثم ينحدرون للساحل من جديد ، وفي أثناء إقامتهم كانوا يخالطون الناس ويتعاملون معهم وينشرون الإسلام مما يستتبع نشر اللغة العربية.

كما كانت هذه المدن الساحلية أسواقا ضخمة يقصدها أبناء البلاد الأصليون لبيع حاصلاتهم ، وشراء مايحتاجونه أوبقصدالاقامة والتماس فرص العمل فكان اختلافهم إلى هذه المدن يتيح لهم الاحتكاك بالحياة الإسلامية والثقافة العربية عن كثب ، مما يدفعهم الى اعتناق الاسلام ومن ثم ينشروه بين ذويهم إذا عادوا لبلادهم ، كما أن المعاملات التجارية في مثل هذه الأسواق كانت تتم في الغالب باللغة العربية او بالعربية المختلطة بلغات البلاد المحلية مما اتاح لهؤلاء الأفراد أن يعرفوا قدرا من اللغة العربية من خلال هذه المعاملات مما كان له أثر مافي نشر اللغة العربية بين السكان الأصليين حتى إذا ما اعتنقوا الإسلام صار واجبا عليهم الإلمام ولو بشكل قليل باللغة العربية .

كما أقام العديد من التجار الأثرياء الكتاتيب والمدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية ، كما كانوا يرسلون الطلاب المتفوقين الي الحرمين أو دمشق أو القاهرة لإتمام تعليمهم (١٧). وكان لهذا الأمر أثر كبير في نشر اللغة العربية في إثيوبيا.

٣- دور الهجرات العربية :

لعبت الهجرات العربية وتحركات القبائل دورا هاما في نشر اللغة العربية في اثيوبيا ، فقد خرجت هجرات متعددة من القبائل العربية بعد هجرة المسلمين الأولى قصدت الحبشة واستقرت بها ، ومن هذه الهجرات هجرة أقوام من ربيعة وقحطان واستقرت في مناطق البيجا (١٨) كذلك هاجرت أقوام من قبيلة بني مخزوم القرشيةالتي أقامت إحدى الممالك الإسلامية بزعامتها في منطقة شوا الشرقية في نهاية القرن التاسع الميلادي تقريبا ، وقد هاجر أسلاف هذه الأسرة عبر البحر الأحمر في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١٩). كذلك هاجر العديد من المسلمين لأسباب اقتصادية أو سياسية من شبه الجزيرة العربية أو من مصر ووصلوا إلى الحبشة ، فبعد قيام الخلافة الأموية وأثناء تثبيتها

لحكمها في الحجاز هاجر العديد من العرب فرارا من الأمويين ، وتكررت نفس الهجرة وعلى نفس النمط عندما قامت الخلافة العباسية ، ففر كثير من معارضيها وانتشروا في شمال إفريقيا والأندلس ومنهم عدد لابأس به وصل إلى الشاطىء الإفريقي(٢٠) ومنهم من توغل إلي الحبشة ، ولم تتوقف الهجرات العربية عند ذلك التاريخ فقط بل توالت واستمرت علي مدار السنين ننيجة للجوار الجغرافي أو نتيجة للظروف السياسية أو للعوامل الطبيعية ، وإن أخذت شكلا أقل حدة وأقل تدفقا حيث يذكر فيرجسون أن هذه الهجرات استمرت حتي إنه يذكر أن هناك عدد من المجموعات المسلمة المتحدثة بالعربية نزحت من السودان الى اثيوبيا في القرن التاسع عشر (٢١).

ولقد لعبت هذه الهجرات دورا هاما في نشر اللغة العربية بين السكان الأصليين ،نظرا لأن هذه القبائل العربية اختلطت بالسكان الأصليين واندمجت معهم وصاهرتهم ، كما أن هذه القبائل كانت على قدر من التقدم والرقي مما يجعلها من عناصر التأثير فيمن حولها من السكان الأصليين.

٤- العامل الحضاري

ومن العوامل التي ساهمت في نشر اللغة العربية في إثيوبيا ايضا نجد العامل الحضاري ، وهذا العامل يعني أنه إذا التقت لغة ذات تراث حضاري متفوق مع لغة أخرى حظها من ذلك التراث قليل فإن الأمر ينتهي بتغلب وسيطرة اللغة الأولي(٢٢) وقد حدث هذا مع اللغة العربية في إثيوبيا ، فإثيوبيا بها عدد كبير من اللغات المحلية ذات التراث الحضاري المتواضع وقد اصطدمت هذه اللغات باللغة العربية التي كانت في تلك الفترة لغة الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في العصر الأموي والعباسي وبلغت شأنا كبيرا وأدى ذلك إلي سيطرة اللغة العربية ، فأصبحت هي لغة التعامل .

٥- عامل المصلحة الشخصية:

كما أن هناك عاملا آخر جعل العربية لها هذا الشأن في إثيوبيا وهو عامل مصلحة الأفراد الشخصية ، فالعربية هي اللغة التي يستطيع أن يصل الأفراد عن طريقها إلى الوظائف الرفيعة ، وذلك عن طريق التعامل مع العرب المسلمين الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة ، فقد كانوا سادة التجار والماسكين بزمام الحياة الاقتصادية في البلاد ، لذا كان من صالح الأفراد الأحباش أن يتعلموها إن لم تكن لأنها لغة دينهم فلأنها وسيلة للتكسب والارتزاق ، بعد أن صارت الوظائف التي تتطلب خبرة خاصة ومستوى ثقافيا

معينا لايشغلها سوي المسلمين المتعلمين لذا فقد التزم كل مسلم بتعليم أبنائه القراءة والكتابة بالعربية (٣٢).

وبالاضافة الى هذه العوامل فان الطرق الصوفية والدعاة والمعلمين قاموا بجهود صادقة في نشر الإسلام واللغة العربية عن طريق التعليم والدعوة الصادقة ، كما قاموا بإنشاء المساجد وفتح المدارس كما صاهروا أهل البلاد واندمجوا فيهم .

مظاهر انتشار اللغة العربية فى إثيوبيا:

اتخذ انتشار اللغة العربية في إثيوبيا عدة مظاهر منها :

١- اللغة العربية لغة تعامل:

تحدث كثير من الإثيوبيين اللغة العربية واحتفظوا بها إلى جانب لغاتهم الأصلية ، فغالبية المدن الإسلامية اتخذت اللغة العربية لغة للدين والثقافة واستخدموها كلغة تعامل فيما بينهم ، فأهل أوفات على سبيل المثال كانوا يتحدثون اللغة العربية إلى جانب لغاتهم الحبشية (٢٤) كما أن اللغة العربية صارت اللغة السائدة أو اللغة الأولى في مدينة دارداو التي يتكلم بها أهلها حتي النساء والأطفال الصغار وهم يتكلمون بها بفصاحة يخيل للمرء إذا سمعها انه في بلد عربي (٢٥) ، وقد ذكر أحد الزائرين الأوائل للحبشة في القرن التاسع عشر أنه لاحظ أن عددا كبيرا من الصوماليين والدناكل الذين لم يستقروا في قرى أبدا لديهم القدرة على قراءة وكتابة اللغة العربية ، وقد ذكر مراقب آخر أنه في الغرب في جيما يوجد الكثير من المسلمين الذين يستطيعون قراءة القرآن الكريم باللغة العربية (٢٦)

٢- اقتراض اللغات المحلية الإثيوبية كثيراً من الألفاظ العربية:

اقترضت اللغات المحلية الإثيوبية كثيرا من الألفاظ العربية ، فقد كانت اللغة العربية لغة ذات تراث كبير ولغة حضارة راقية بينما كانت اللغات الاثيوبية أقل منها في هذا الجانب فاقترضت منها الكثير من ألفاظ الحضارة وغيرها من المفردات التي دخلت هذه اللغات ، وقد أورد كثير من العلماء قوائم بهذه المفردات المقترضة من اللغة العربية (٢٧).

ولم يقتصر تأثير اللغة العربية على مسلمي إثيوبيا فقط بل تعداهم إلى المسيحيين أيضا ، وذلك عن طريق تأثير الكنيسة المصرية التي ارتبطت بها الكنيسة الحبشية ، وقد تحقق ذلك التأثير عن طريق الكتب الدينية التي تمت ترجمتها ونقلها من العربية الي الجعزية أو الأمهرية ، وخاصة بعد أن حلت اللغة العربية محل اللغة القبطية في مصر فقد اتخذ الاقباط في مصر من اللغة العربية لغة للكنيسة ونقلوا إليها الكتب الدينية كما ألفوا باللغة

العربية ، وبعد ذلك أخذ الأحباش ينقلون هذه الكتب من العربية إلى الجعزية ثم إلى الأمهرية فنقلوا قصصا تروي أعمال الرسل ، وقصة آدم وحواء وكتبا عن معجزات السيد المسيح وعجائب مريم العذراء ، وحياة القديسين والشهداء وعجائبهم ، كما ترجمت كتب خاصة بخدمة القداس وطقوس العماد والدفن والصلوات والعظات وغير ذلك ، كما نقل الأحباش كتبا في اللاهوت كانت قد دونت بالعربية ، كما ترجم عن العربية إلى الجعزية أيضا العديد من الكتب في القرن السابع عشر للدفاع عن المذهب اليعقوبي (٢٨) واستمرت حركة الترجمة والنقل هذه فترة طويلة.

ونظرا لأن الأحباش المسيحيين ظلوا قرونا عديدة ينقلون آدابهم عن اللغة العربية كان طبيعيا أن تؤثر اللغة العربية في لغة المترجمين إلى حد بعيد ، فقد ظهر في الكتب المترجمة إلي الحبشية أثر عربي واضح في كثير من العبارات والصيغ والألفاظ ، كما تظهر في هذه النصوص الحبشية عبارات أخذها المترجمون الأحباش بنصها كما هي في اللغة العربية ، ومن هذه الألفاظ : الحبس ، الحكيم ، المنار ، القارورة ، الوباء ، الخف ، الورد ، الجنين ، ضابط الكل ، الدر وغيرها من الألفاظ العربية (٢٩) وبدون شك فان هذا يوضح مدى تأثر الأحباش المسيحيين بالثقافة القبطية العربية.

٣- كتابة اللغات الاثيوبية بالحرف العربي:

تمت كتابة كثير من اللغات المحلية الإثيوبية بالحرف العربي ، فقد تم كتابة اللغة الهررية ، وهي لغة يتحدث بها في مدينة هرر في شرق إثيوبيا واسمها المحلي أدار (Adare) بالحرف العربي ، ومن ناحية أخرى فإن هذه اللغة على الرغم من أنها محاطة من جميع الجهات بلغة الجالا (الأورومو) والصومالي وهذه اللغات تركت أثرها في اللغة الهررية ولكن التأثير الكبير في مجال المفردات أحدثته اللغة العربية ويرجع ذلك إلي التأثير الإسلامي الطويل بها حيث تعتبر مدينة هرر أول مدينة إسلامية في إثيوبيا (٣٠) كذلك كتب الصوماليين في الحبشة لغتهم بالحرف العربي ، كما أن متحدثي لغات العفر والبيجا من الجماعات البدوية المسلمة يفضلون استخدام العربية كلغة مكتوبة لهم (٣١) كما استخدم الحرف العربي في كتابة اللغة الأورومية (لغة الجالا) حيث استعمل الحرف العربي منذ زمن بعيد في كتابة النصوص الدينية والأذكار والمدائح (٣٢).

٤- كتابة مؤلفات العلماء الأحباش باللغة العربية :

ظهر العديد من العلماء والفقهاء من بين المسلمين الأحباش الذين نبغوا في العلوم

الدينية وعلوم اللغة العربية وبلغوا فيها شأنا كبيرا ، حتي أنهم وضعوا العديد من المؤلفات بلغاتهم المحلية وباللغة العربية أيضا ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ سيد فقيه زبير من ياجو (ت ١٢٤٢هـ) الذي وضع أربعين مقالة تعليقية عن الأجرومية ، وجمال الدين محمد من أنا (Anna) (ت ١٨٨٢هـ) والذي وضع كتابا كاملا في الفقه بعنوان (كفاية الطالبين في معرفة مهمات الدين) والشيخ إبراهيم عبدالرازق الذي ألف تعليقات على ألفية بن مالك ، والشيخ جوهر بن حيدر من شونقى والذي وضع كتابا في الفقه بعنوان (عناية الطالبين) كما كتب الشيخ محمد أمان من داري تعليقا على الأجرومية بعنوان (المقاصد الوافية في شرح الأجرومية (٣٣) ومن العلماء المشهورين أيضا الشيخ حسن بن حبيب الحنفي الجبرتي من والو وله مؤلفات ومصنفات كثيرة منها تفسير القرآن الكريم (شرح كنز الدقائق) شرح مختصر القدوري (شرح تحفة الملوك الذي سماه بمنهج السلوك) وله تصنيفات وشروح أخرى كثيرة (٣٤).

الوضع الحالي للغة العربية في إثيوبيا:

تعرفنا في الصفحات السابقة على مراحل انتشار اللغة العربية في اثيوبيا ، وعوامل هذا الانتشار ومظاهره ورأينا إلى أي مدى وصلت اللغة العربية من مكانة وانتشار في اثيوبيا ، إلا أن اللغة العربية في اثيوبيا تعرضت الي هزات متعددة ومعوقات كبيرة أدت إلى تراجع هذه المكانة وانحسار ذلك الانتشار ، ورغم ذلك فما تزال اللغة العربية تحتفظ بمكانة ووضع متميزين في اثيوبيا ، ولازال لها نوع من التواجد علي الساحة الإثيوبية وذلك على النحو التالي :

١- اللغة العربية لغة دين :

لاتزال اللغة العربية هي اللغة الدينية لمسلمي أثيوبيا ، فعدد المسلمين الكبير لايزال من أهم عوامل استقرار وثبات اللغة العربية هناك ، وتعد اللغة العربية لغة مقدسة بالنسبة لمسلمي إثيوبيا فهي لغة القرآن الكريم وهي اللغة المستخدمة في إقامة الشعائر الدينية ، لذا فإن معرفة اللغة العربية لاتزال ملازمة لحفظ القرآن الكريم وفهمه وضرورة لفهم واستيعاب تعاليم الإسلام من مصادره الأساسية ، ويشير فيرجسون إلي هذا الدور الذي تلعبه اللغة العربية في اثيوبيا فيذكر أن أي مسلم بصرف النظر عن لغته الأم لابد له من الإلمام ببعض العبارات العربية مثل الشهادتين (أشهد أن لا إلا إلا الله وأن محمد رسول الله) أو عبارة التحية (السلام عليكم) أو البسملة أو غيرها ، كما يجب عليه حفظ

تحة وبعض الآيات القرآنية باللغة العربية حتي يستطيع أن يؤدي صلاته ، ومن أراد أن يزداد تفقها في شئون دينه فعليه أن يزداد علما باللغة العربية ليطلع على المؤلفات الدينية المختلفة من كتب الفقه والشروح والتفاسير وكتب الحديث .. الخ ، ولذا نجد أن الافراد يختلفون في مدى إلمامهم واتقانهم للغة العربية فمنهم من يفهمها ويتحدثها بشكل تام ويستطيع استخدامها في الحياة اليومية ، ومنهم من يتسطيع تلاوة القرآن الكريم والحديث في الأمور الدينية ويمكنه فهم الخطب باللغة العربية لكنه لايستطيع استخدامها في حياته اليومية ، ومنهم من تقتصر معرفته بها على إقامة الشعائر الدينية فقط ويتوقف كل ذلك على مقدار ماتعلمه من اللغة العربية في المساجد أو في المدارس الإسلامية التي يتم فيها تعليم اللغة العربية (٣٥).

٢- اللغة العربية لغة تعامل :

تعد اللغة العربية إحدي أهم لغات التعامل في اثيوبيا ، حيث تعتبر اللغة العربية واللغة الأمهرية من لغات التعامل والاتصال واسعة الانتشار في إثيوبيا (٣٦) ، وتظهر هذه الأهمية بشكل خاص بين مسلمى إثيوبيا الذين يتحدثون لغات مختلفة حيث تعد العربية وسيلة التفاهم المشتركة بينهم جميعا ، وللعربية وجود واضح في المدن الإسلامية مثل هرر وجيما وعروسي وغيرها من المدن الإسلامية باثيوبيا ، ويجب هنا أن نشير إلى أنه من النادر أن تجد من الإثيوبيين غير المسلمين من يتحدث اللغة العربية كلغة تعامل فهي مرتبطة إلى حد كبير بالأقاليم والجماعات المسلمة في إثيوبيا ، واللغة العربية المستخدمة في الحديث في إثيوبيا تميل إلي اللهجة اليمنية أو السودانية ولكنها تتأثر أحيانا باللهجات المحلية ، كما أن هناك عددا من المسلمين الذين تأثروا باللغة العربية الفصحى نتيجة لدراستهم لها في المدارس أو المساجد أو عن طريق الإذاعة أو القراءة فاستخدموها في معاملاتهم (٣٧).

ولاتزال اللغة العربية مفهومة في الأسواق الإثيوبية بشكل كبير حيث أدت سيطرة العرب القديمة على التجارة الإثيوبية إلى انتقال كثير من المفردات العربية في هذا المجال والتي لاتزال موجودة حتي الآن ، إلا أن وضع اللغة العربية كلغة تعامل أخذ في التراجع أمام سيادة اللغة الأمهرية من ناحية وأمام التقدم والانتشار الكبير للغة الانجليزية من ناحية أخري .

٣- اللغة العربية فى وسائل الإعلام الإثيوبية :

تتمتع اللغة العربية بوجود ملاحظ علي الساحة الإعلامية الإثيوبية ، فالإذاعة الإثيوبية تخصص يوميا ساعة من إرسالها تقدم باللغة العربية ، وتتناول هذه الفترة الأخبار المحلية والعالمية كما تتضمن بعض البرامج والأغاني العربية .

كما تصدر عدة صحف إثيوبية باللغة العربية ومن هذه الصحف صحيفة (العلم) ويزيد عمر هذه الصحيفة عن نصف قرن ، وتصدر في أديس ابابا ولم تتوقف عن الصدور منذ نشأتها في عام ١٩٤٢م وحتي الآن ، و(العلم) صحيفة حكومية تصدر عن وزارة الإعلام الإثيوبية والهدف من إصدارها إعلام الشعوب العربية والمجتمع الدولي بالنشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإثيوبيا ، بالإضافة إلى تعزيز العلاقات الثنائية بين اثيوبيا وبلدان العالم العربي المجاورة (٣٨) وهناك أيضا بعض الصحف والمجلات العربية والإسلامية التي تصدر في إثيوبيا مثل مجلة (بلال) وهي مجلة إسلامية شهرية تعكس وجهة النظر الإسلامية والمجتمع المسلم في إثيوبيا ، وكذلك تصدر مجلة(الرسالة) وهي مجلة إسلامية تصدرها جمعية إسلامية باللغة العربية واللغة الأمهرية ، وكان المجلس الأعلي للشئون الإسلامية قد أصدر صحيفة نصف شهرية باللغة العربية والأمهرية إلا أنها توقفت عن الصدور لأسباب مالية(٣٩) وبدون شك فإن صدور مثل هذه الصحف يدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية في إثيوبيا لها أرضية وخلفية ثابتة بحكم ذلك العدد الهائل من المسلمين وبحكم الجوار العربي .

٤- اللغة العربية فى التعليم الاثيوبى:

نظرا لأهمية الحديث عن وضع اللغة العربية في نظام التعليم الإثيوبي فاننا سوف نتناوله بشيء من التفصيل .

لو أردنا أن نرصد تعليم اللغة العربية في إثيوبيا فإننا يجب أن نشير في البداية إلى أن إثيوبيا بها نوعان من التعليم :

١- تعليم حكومي

٢- تعليم غير حكومي (محلى - خاص)

وتجدر الإشارة إلي أنه لايتم تدريس اللغة العربية في أي مرحلة من مراحل التعليم الحكومي ، أما في التعليم غير الحكومي فنجد أن اللغة العربية يتم تعليمها وتدريسها بشكل كبير ، حيث يتم تدريس اللغة العربية في المدارس القرآنية التقليدية وكذلك في بعض

المدارس الإسلامية الخاصة محدودة الانتشار ، ويلاحظ أن الهدف من تعليم اللغة العربية في إثيوبيا يختلف من منطقة إلى أخرى ، ففي المناطق الريفية أو المناطق البدوية نجد أن الهدف ديني وثقافي في المقام الأول حيث يتم التعليم من أجل تمكين الأطفال من قراءة وتلاوة القرآن الكريم والنصوص الدينية الأخري المكتوبة بالعربية ، أما في المناطق الأكثر تمدنا فإن اللغة العربية تستخدم كلغة تعامل وكوسيلة اتصال على الأقل في المعاملات التجارية وفي تدوين الحسابات أو كتابة العقود وماشابه ذلك (٤٠) لذلك نجد أن مستوى إلمام الإثيوبيين المسلمين باللغة العربية يختلف من منطقة إلى أخري.

ويتم تدريس اللغة العربية في مدارس تسمي (المدارس القرآنية) وهي مدارس أهلية لا تخضع لإشراف الحكومة ولاتحظى باعترافها وهي مدارس بدائية إلى حد كبير ، وتنقسم الدراسة في هذه المدارس إلى مرحلتين هما :

أولا : مرحلة التهجى Tehaji

تشبه هذه المرحلة الي حد بعيد نظام التعليم الديني الذي كان قائما في كثير من البلاد العربية والإسلامية والذي يعرف في مصر ، علي سبيل المثال ، باسم الكتاب والذي لاتزال اثاره باقية حتى الآن في بعض القري المصرية ، و كلمة (تهجي) كما هو واضح كلمة ذات أصل عربي (٤) وهذه المرحلة لها هدفان أساسيان هما :

١- تعليم الحروف العربية ٢ - قراءة القرآن الكريم

ولتحقيق هذين الهدفين لابد أن يمر الطالب بعدة خطوات ، ففي البداية يجب عليه أن يتعلم الحروف العربية ، ويبدأ الطلاب في حفظ هذه الحروف فتكتب على الواح خشبية ويقوم المعلم أو أحد التلاميذ القدامى بقراءتها ويظل الطفل يرددها حتي يحفظها عن ظهر قلب ، والخطوة التالية يتعلم فيها الأطفال النقاط التي توضع فوق الحروف أو أسفلها أو داخلها ثم يتعلم الطفل النطق الصيح للحروف حيث يتعلم علامات الشكل الأربعة(الفتحة . الكسرة - الضمة - السكون) ثم يتعرف الطالب علي أصوات المد (أ ، و ، ي) وتعد هذه الخطوة خطوة خاصة جدا بالنسبة للأطفال حيث أن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية بالنسبة لهم وهم لا يستطيعون أن يقرأوا أو يكتبوا دون معرفة هذه الحركات كما يفعل أبناء العربية ، بالاضافة إلى أن الهدف الرئيسي من تعلم اللغة العربية في هذه المرحلة هو قراءة القرآن الكريم المكتوب مصحوبا بالحركات ، وبعد ذلك يتعلم الطلاب كيفية الربط بين الحروف وكيفية قراءتها وكتابتها مجمعة (٤٢) وبعد ذلك يبدأ الطلاب في التدريب على

قراءة الآيات القرآنية ويتم ذلك بطريقة التهجي ، وربما اكتسبت هذه المرحلة تسميتها من هذه العملية ، فنجد أن الطالب يبدأ بنطق الحروف والحركات واحدة تلو الأخرى ثم يقرأها بعد ذلك سويا ، فيبدأ بتحديد الحرف الأول من الكلمة ثم يحدد الحركة وبعد ذلك يتم نطق الصوت الناتج عن اتحادهما معا ، ويتكرر هذا بالنسبة للحرف الثاني والثالث حتى تنتهي حروف الكلمة وعندئذ ينطق الكلمة ذاتها كلها دفعة واحدة .

وبعد فترة من التدريب يبدأ الطفل في حفظ سور وأجزاء القرآن الكريم حتي يتم حفظه ، وبعض الطلاب يتمكنون من حفظ القرآن الكريم كاملا بينما تكتفي غالبية الطلاب بحفظ عدة أجزاء منه فقط ومن ثم يتوقفون عن الذهاب إلى المدرسة وبذلك يصل تعليم الطفل إلى نهايته في هذه المرحلة (٤٣)

ثانيا: المدارس العالية علم IIm :

بعد أن ينهي الطلاب مرحلة التهجي فإن الكثيرين منهم وخاصة الذين يسكنون المناطق الريفية والبدوية يتوقفون عن مواصلة الدراسة ويكتفون بما حصلوه من معرفة ، أما الطلاب الذين يريدون مواصلة دراستهم فإنهم يلتحقون بالمدارس الإسلامية العالية التي تسمي (علم) وفي هذه المرحلة يتم تقديم دراسة مكثفة للفقه الإسلامي كما يتم أيضا تدريس علم التوحيد والتفسير والحديث وكذلك تتم دراسة علم المنطق .

وحتى يتمكن الطلاب من دراسة وتحصيل هذه العلوم فلابد لهم من دراسة النحو العربي وقواعد العربية ، ويعد النحو من أهم العلوم اللغوية التي يتم تدريسها في هذه المرحلة ومن الكتب التي تدرس في هذا الفرع (الأجرومية) ومطالعة العرب وألفيةبن مالك والمجيب ومغني اللبيب كذلك هناك علوم لغوية اخرى يتم تدريسها مثل الصرف والعروض والبيان والبديع والبلاغة (٤٤)

وإذا كان معظم الطلاب في المناطق الريفية والبدوية يكتفون بالمرحلة الأولي . فإنه في المناطق المتمدنة حيث يعمل أغلب المسلمين بالتجارة فإن القليل منهم يكرسون أوقاتهم لدراسة رسمية كهذه فمعظمهم يتعلمون شيئا من التفسير أو الفقه وغيره من العلوم الدينية الإسلامية أثناء أوقات فراغهم في المساء حيث يذهبون الى المسجد ويستمعون إلى الدروس التي تلقى هناك (٤٥).

ونظرا لأن المدارس القرآن التي أشرنا إليها سابقا والتي تقوم بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم لا تفي بمتطلبات العصر الحديث حيث أنها لاتدرس المواد الحديثة المختلفة

(تاريخ – جغرافيا – كيمياء – لغة انجليزية .. الخ) كما أنها لاتعلم الأطفال قراءة وكتابة اللغة الأمهرية لغة الدولة الرسمية لذلك أخذت هذه المدارس في فقد الكثير من أهميتها ولم يعد لها مكان في نظام التعليم الحديث لذا أصبح من الواجب إيجاد مواءمة بين المدارس القرآنية والمدارس الحديثة في المناطق ذات الكثافة المسلمة ، ومن أجل هذا ظهرت المدارس الخاصة التي تعرف باسم (مدرسة) Madrasa وهذه المدارس عادة ماتقوم بتعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم بالإضافة إلى أنها تتبع منهج ومقررات وزارة التعليم ، وهذا النوع من المدارس ينتشر إلى حد ما سواء في القرى الصغيرةأو في المدن الكبري حيث توجد ست مدارس منها في مدينة هرر وعشرين مدرسة في ديرداو وعشرة مدارس في أديس ابابا واعداد صغيرة أخرى في غيرها من المدن (٤٦) لكن يؤخذ على هذه المدارس ازدحام المناهج لأن الطلاب في هذه المدارس يجب أن يتعلموا اللغة العربية والقرآن الكريم بالإضافة إلي تعلم اللغة الأمهرية واللغة الانجليزية إلى جانب المواد الأخرى التي تدرس في المدارس الابتدائية العادية ، كذلك يؤخذ على هذه المدارس أنها عادة لاتقدم برنامجا تعليميا كاملا ونتيجة لذلك فإن العادة السائدة هي أن يترك التلاميذ هذه المدارس في الصف الثالث أو الرابع ويلتحقون بمدارس أخرى من أجل تعليم أفضل وفرص أكبر لاجتياز هذه المرحلة للوصول إلى المرحلة الثانوية.

وبالإضافة إلى هذين النوعين من المدارس التي تقوم بتعليم اللغة العربية (المدارس القرآنية ، المدارس الإسلامية الخاصة) نجد نوعا ثالثا من المدارس وهو المدارس الخاصة بالجاليات العربية والإسلامية في إثيوبيا ، وهذه المدارس تابعة لبعض الدول أو الأفراد من العرب والمسلمين وتقوم بتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي بالاضافة الي المواد الأخرى ، وهذه المدارس ذات مستوى تعليمي أفضل وتتمتع بامكانيات تعليمية أكثر تقدما لذلك تجد هذه المدارس قبولا كبيرا من مسلمي إثيوبيا .

أسباب انحسار وتراجع اللغة العربية في أثيوبيا :

عندما نطالع الوضع الذي وصلت اليه اللغة العربية في أثيوبيا ونرى مدى التراجع والانحسار الذي ألم بها يتبادر إلى أذهاننا تساؤل عن الأسباب التى أدت إلى ذلك الوضع ، وللإجابة على هذا التساؤل نجد عدة أسباب تضافرت سويا وادت الى ذلك التراجع ، ويأتي علي رأس هذه الأسباب تأثير اللغات الأوربية والاستعمار ، فبداية من القرن الخامس عشر وحتي القرن العشرين حاول الاستعمار الأوربي الذي بسط سيطرته ونفوذه

على غالبية دول القارة ، الحيلولة دون تغلغل وانتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا وبدأ الصراع بين الثقافتين العربية والأوربية ، وكان محل التنازع اللغة وسيلة نقل للثقافة(٤٧).

وقد عمل الاستعمار الأوربي علي الامتداد اللغوي والثقافي والفكري في دول القارة ، فانتشرت اللغات الأوربية في دول القارة بشكل كبير ، وحظيت اللغة الفرنسية بانتشار كبير في إفريقيا حيث توجد أربعة وعشرين دولة إفريقية تنتشر بها الفرنسية حيث تعد اللغة الفرنسية اللغة الرسمية بجانب لغة أو لغتين في الدول التي كانت مستعمرات فرنسية ، كما انتشرت اللغة الانجليزية أيضا حيث توجد إحدي وعشرين دولة إفريقية تعتبر اللغة الإنجليزية فيها أكثر اللغات انتشارا وبعض الدول اتخذتها لغة رسمية لها ، كذلك انتشرت اللغة الأسبانية واللغة البرتغالية في المستعمرات التي كانت تابعة لهما (٤٨)

وإذا كان الاحتلال الايطالي لاثيوبيا لم يؤد إلى نشر اللغة الايطالية بها على نطاق واسع ، نظرا لقصر الفترة التي قضاها فيها ، ولم تتح له الفرصة لهذا التأثير الكبير ، إلا أن الإيطاليين قد تركوا أثرا لغويا غير هين حيث انتشرت اللغة الايطالية بين عدد من سكان اثيوبيا واستعملت الايطالية لغة تعامل وخاصة في مجال العمل والصناعة(٤٩) ولم تكن ايطاليا وحدها هي التي لعبت دورا في نشر اللغات الاوربية في اثيوبيا فقد سبقها في هذا المجال البرتغاليون ، كما ان ظروف اثيوبيا السياسية ادت إلي تدخل قوى أجنبية أخرى وخاصة الانجليز والفرنسيين ، وكل قوة من هذه القوى عملت على نشر اللغات الأوربية ، كل حسب توجهه ، وكان كل ذلك على حساب اللغة العربية.

وقد لجأت القوى الاستعمارية الى وسائل مختلفة لتحقيق أهدافها

ومن أهم هذه الوسائل :

١- إطلاق يد البعثات التبشيرية وتخصيص الإمكانيات الكبيرة لها ، وترجمة الإنجيل الي كل اللغات الافريقية المحلية ، فتمت ترجمة الانجيل الى لغات اثيوبيا المحلية المختلفة ، فترجم الى الأمهرية والأورومية والتيجرينية وغيرها من اللغات المحلية الأخرى.

٢- محاولة تشويه صورة العلاقات العربية الاثيوبية من ناحية والعلاقات المسيحية الإسلامية في اثيوبيا من ناحية أخرى ، وذلك عن طريق إظهار العرب على أنهم تجار رقيق ومستعمرون ، والعمل علي إحياء نزعة التعصب الديني بين مسلمي ومسيحي اثيوبيا بالاضافة إلي إهمال المسلمين وحرمانهم من فرص التعليم وفرص العمل

المناسبة مما أدى إلى تأخرهم وتخلفهم .

٣- تعطيل كتابة اللغات الاثيوبية التي كانت تكتب بالحرف العربي ، واستبدال ذلك بالحرف اللاتيني ، فتم التوسع في كتابة اللغات الاثيوبية التي كانت تكتب بالحرف العربي واستبدالها بالحرف اللاتيني كما حدث مع اللغة الصومالية في اثيوبيا ولغة الأورومو وكتابة هذه اللغات بالحرف اللاتيني يعني ربط هؤلاء الأقوام بالثقافة الغربية من ناحية وفصل الإثيوبيين عن تراثهم المسجل بالحرف العربي وعزلهم عن ماضيهم من ناحية أخرى.

٤ - فرض اللغات الأوربية كلغات تعليم في المدارس الحكومية ، وكان الهدف من ذلك القضاء على اللغة العربية نهائيا وإبدالها باللغات الأوربية ، وبالفعل تم ذلك في اثيوبيا حينما تم إقرار اللغة الانجليزية كلغة للتعليم الحكومي في المرحلة الثانوية والتعليم العالي(٥٠).

كذلك ساعدت السياسة اللغوية في اثيوبيا على سحب البساط من تحت أقدام اللغة العربية مما أدى الى انحسارها ، ذلك أنه تم منع استخدام اللغة العربية في المدارس الحكومية ، كما صدرت مراسيم يحرم فيها استعمال اللغة العربية في المحاكم الشرعية الخاصة بالمسلمين (٥١) وكذلك تم فرض اللغة الأمهرية كلغة للتعليم في المرحلة الأولى وفرض اللغة الإنجليزية كلغة للتعليم الحكومي في المرحلة الثانوية والتعليم الجامعي ، مما أدى إلي تقلص المساحة التي كانت تحتلها اللغة العربية في كل أنحاء اثيوبيا وذلك بعد أن كانت لغة العلم والثقافة .

والحقيقة أننا لايجب أن نلقي بالمسؤولية الكاملة لانحسار اللغة العربية في اثيوبيا على كاهل الاستعمار الأوربي والسياسةاللغوية التي اتبعت في اثيوبيا ، وإن كانا قد لعبا دورا كبيرا في هذا الجانب ، ولكن هناك عامل آخر له أهمية كبيرة وهو الوضع الحضاري والثقافي للعرب ، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا تتقدم وترسخ أقدامها في إفريقيا كلها كان العرب في حالة من التأخر والتخلف الحضاري ، وقد أثر ذلك بشكل كبير علي الدور الثقافي للعرب في هذه المنطقة كما أدي إلى فقدان الكثير من الأرض التي كانت اللغة العربية قد كسبتها في الماضي ، وخلاصة الأمر أن انتشار اللغات وتقدمها مرهون بتقدم أصحابها وتفوقهم .

الخاتمة :

بداية يجب أن نلاحظ إن اثيوبيا بها أرضية خصبة لنشر اللغة العربية ، وذلك لكثرة عدد المسلمين بها وغالبية هؤلاء المسلمين شغوفون وفي حاجة لمعرفة شئون دينهم الأمر الذي لن يتحقق إلا بمعرفة ولو جزئية باللغة العربية ، ذلك فإن عامل الإقبال على تعلم اللغة العربية موجود بالفعل ولايحتاج سوى تفعيل واستثارة فقط ، ولكننا نلاحظ أيضا أن هناك أمرا قد يعوق ذلك الإقبال وهو ارتباط مصلحة الأفراد بتعلم اللغات الأوربية حيث أنها تتيح فرصاً اكبر للوصول الى الوظائف الرفيعة في المجتمع حيث ارتبطت اللغة العربية بالماضي وينظر اليها كلغة دينية يقتصر دورها على إقامة الطقوس والشعائر الدينية فقط ، لذلك لابد من وجود الحافز الذي يشجع الإثيوبيين على تعلم اللغة العربية وذلك بأن تخصص لهم المنح الدراسية في الجامعات العربية والإسلامية على أن تكون هذه المنح في مختلف التخصصات وليست مقصورة على العلوم اللغوية والدينية فقط .

كما يجب أن يزداد نشاط نشر الثقافة العربية في اثيوبيا عن طريق ايجاد مدارس عربية اسلامية ذات مستوي مرتفع لأن المستوى المتواضع للمدارس الإسلامية في اثيوبيا لا يؤهل طلابها لمستوى علمي متقدم ، لذلك يجب إيجاد نوع من التنسيق بين الجهود العربية والإسلامية وبين مسلمي اثيوبيا لايجاد نوع من التعليم يضمن الحفاظ علي الهوية الإسلامية لمسلمي اثيوبيا ويساعد على نشر اللغة والثقافة العربية من جهة ثانية ويخرج طلابا على مستوي علمي لائق من جهة ثالثة ، كما يجب تزويد الإثيوبيين بالكتب العربية المتطورة ، وإمدادهم بالمدرسين ذوي المستوى العلمي الجيد ، كذلك يمكن افتتاح مراكز ثقافية عربية في اثيوبيا على غرار المراكز الثقافية الأوربية والامريكية ، وقد تبدو هذه الاقتراحات مكلفة ماديا إلا أن ذلك يعد أفضل استثمار للمال العربي والإسلامي ، لأن هذا الاستثمار هو استثمار للعقول وهذا الجهد والمال لن يذهب سدى لو استطعنا استثماره جيدا .

وفي النهاية يمكننا أن نقول باختصار إن هناك صراعا حضاريا ثقافيا بين الحضارة العربية الإسلامية من جهة وبين الحضارة الأوربية الامريكية من جهة أخرى وهو صراع مشروع والمنتصر فيه هو من تستطيع حضارته وثقافته وقيمه أن تستوعب الحضارات والثقافات الإفريقية وتضيف إليها بما يخدم الأفارقة أنفسهم .

الهوامش :

١- Ferguson C. A. "The Role of Arabic in Ethiopia", p 112 وكذلك Appleyard , David, " Colloquial Amharic" p.2,

٢- المهدي فايز محمد (الإذاعات المصرية الموجهة الي شرقي إفريقيا) ص ٦٨

٣- Bender , M.L., "Language in Ethiopia" ,p 12

٤- Ibid p. 12

٥- Ibid p. 300 وكذلك
Ferguson , C. A. "The Role of Arabic in Ethiopia", p. 115

٦- Ibid pp. 170 - 171

٧- طرخان ، إبراهيم علي (الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطي) ص ٥

٨- المصدر السابق ص ٧

٩- الحيمي ، حسن أحمد (سيرة الحبشة) ص ١٨

١٠. طرخان ، ابراهيم علي : (الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطي) ص ٢٨

١١- المصدر السابق ، ص ص ٢٩ - ٣٠

١٢- المصدر السابق ، ص ٣٣

١٣ - المصدر السابق ، ص ٣٩

١٤. العبودي ، محمد بن ناصر (في إفريقية الخضراء) ص ١٥٨

١٥- غيث ،فتحي (الإسلام والحبشة عبر التاريخ) ص ص ١٨٢ - ١٨٣

١٦. حسن ، ابراهيم حسن : (انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، ص ١٦٢

١٧- محمود ، حسن أحمد : (الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا) ص ص ٤٣١ - ٤٣٢

١٨. طرخان ، ابراهيم علي (الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطي ٣١

١٩- المصدر السابق ، ص ٣٢

٢٠- غيث ، فتحي : (الإسلام والحبشة عبر التاريخ) ص ٧٦

٢١- Ferguson C.A, "The Role of Arabie in Ethiopia", p. 118

٢٢- محمود ، حسن أحمد ، (الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، ص ٥٢)

٢٣- المصدر السابق ، ص ٤٨٨

٢٤. طرخان ، إبراهيم علي : (الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطي) ص ٣٩

٣٥ العبودي ، محمد بن ناصر : (في إفريقية الخضراء) ص ١٥٨

٢٦- Bender , M.L." Language in Ethipia" , p310

٢٧- أورد العلماء كثيراً من قوائم المفردات التي اقترضتها اللغات الإثيوبية من اللغة العربية ومن المقالات التي تناولت هذا الجانب نجد :

-Leslau, W. (1957) Arabic Loanwords in Amharic) BSOAS , vol 19 pp.221

-Leslau , W. (1957) Arabic Loanwords in Argobba JAoS, vol 77 pp 36-9

-Witold Kazimierz Brzuski : Arabic Loanwords in Amharic connected with extiles , Leather products and Jewelry " in African Bulletin No35-1974.

----------""Arabic Loanwords in the old and modern Amharic Language " in African Bulletin No35 -1988

٢٨- عابدين ، عبدالمجيد : (بين الحبشة والعرب) ص ص ٢٣١- ٢٣٣

٢٩- المصدر السابق ، ص ٣٣٧

٣٠- Ullendorff . E. The Ethiopians .p. 130

٣١- Hess , Robert (Ethiopia , The modernization of Autocracy " pp. 18- 19

٣٢- محمد ، حسن مكي : (الاورومو (الجالا) دراسة تحليلية ص ٩٠

٣٣- Ahmed , Hussein , " Traditional Mulsim Education in Wallo " p. 101

٣٤-ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني (أهل بلال) ص ٨٥

٣٥- Ferguson , C.A . "The Role of Arabic in Ethiopia" " pp. 119-120

٣٦- Bender , M.L. " Language in Ethiopia" p. 12.

٣٧- Ferguson , C.A. " The Role of Arabic in Ethiopia " pp. 120 121

٣٨- يلي ، صادق : (أديس أبابا زهرة إثيوبيا الجديدة ص ص ٥٠ -٥١

٣٩- المصدر السابق ، ص ٥٢

٤٠- Bender , M.L. " Language in Ethipia" p 350

٤١- تختلف تسمية مرحلة (التهجي) من منطقة إلى أخرى داخل إثيوبيا ، فبينما تعرف باسم (التهجى) في والو وايفات نجد أنها تسمي (مجلس قرآن) Mejilis Qoran في مدينة هرر وجيما وإقليم عروسي ، في حين تعرف باسم مدارس الشيخ Sheikhy في معظم المراكز المتمدنة.

٤٢- Ahmed , Hussein (Traditional Muslim Education in Wallo (p.99

٤٣- Bender, M. L. " Language in Ethiopia " p.352

٤٤- Ahmed , Hussein , Traditional Muslim Education in Wallo , pp. 100-101

٤٥- Bender , M. L. Language in Ethiopia " p. 353

٤٦- Ibid .p. 360

٤٧- سليم ، رجاء إبراهيم (التبادل الطلابي بين مصر والدول الإفريقية في الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٨٥ ، ص ٢٤

٤٨- المصدر السابق ، ص ص ٢٩ - ٣٠

٤٩- Bender , M. L . "Language in Ethiopia " p. 171

٥٠- سليم ، رجاء إبراهيم : (التبادل الطلابي بين مصر والدول الإفريقية في الفترة من ١٩٥٢ الي ١٩٨٥ ص ص ٣٠ - ٣١

٥١- العبودي ، محمد بن ناصر : (في إفريقية الخضراء) ص ١٥٩

قائمة المراجع:

أولا : المراجع العربية :

١- ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني (١٩٩٤) أهل بلال الطبعة الأولي ، الدار السودانية للكتب - السودان .

٢- حجازي ، محمود فهمي (بدون تاريخ) علم اللغة العربية ، مكتبة غريب القاهرة..

٣- حسن ، إبراهيم حسن (١٩٥٧) انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبري ، معهد الدراسات العربية - القاهرة

٤- الحيمي ، حسن أحمد (١٩٥٨) : (سيرة الحبشة) القاهرة

٥- سليم ، رجاء إبراهيم (١٩٨٩) (التبادل الطلابي بين مصر والدول الإفريقية في الفترة من ١٩٥٢ الي ١٩٨٥ ، مركز البحوث والدراسات السياسية - جامعة القاهرة.

٦- طرخان ، إبراهيم علي (١٩٥٩) (الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ص ص ٣ - ٦٨ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة.

٧- عابدين ، عبدالمجيد (١٩٤٩) (بين الحبشة والعرب) دار الفكر العربي - القاهرة .

٨- العبودي ، محمد بن ناصر (بدون تاريخ) في إفريقية الخضراء (دار الثقافة - القاهرة .

٩- غيث ، فتحي (بدون تاريخ) الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

١٠- محمد ، حسن مكي (١٩٨٧) الاورومو (الجالا) دراسة تحليلية في دراسات إفريقية ص ص ٨٧ - ١٠٨ ، المركز الإسلامي الإفريقي - الخرطوم.

١١- محمود ، حسن أحمد (١٩٦٣) (الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية - القاهرة.

١٢-المهدي ، فايز محمد (١٩٩٠) (الإذاعات المصرية الموجهة الي شرقي إفريقيا ، المكتبة الثقافية (٤٦٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣- يلي ، صادق (١٩٩٤) : (أديس ابابا زهرة إثيوبيا الجديدة ، في مجلة العربي عدد ٤٢٩ ، ص ص ٤٢ - ٥٧ ، وزارة الإعلام - الكويت .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1-Ahmed , Hussein (1988) Traditional Muslim Education Wallo " in " proceedings of the Ninth international congress of Ethiopian studies" pp. 94 - 106 , NAUKA publishers , MOSCOW

2- Appleyard , David (1995) Colloquial Amharic " first published , Rutledge - New York.

3- Bender , M. L. (1976) Language in Ethiopia " Oxford University Press - London.

4- Ferguson , C.A. (1972):, "The Role of Arabic in Ethiopia: A Sociolinguistic perspective " In : J.B. Pride and Janet Holmes(Eds) Sociolinguistics selected readings. Penguin Books Ltd, England pp. 112-124

5- Hess , Robert (1970) Ethiopia The Modernization of Autocracy , first published , Cornel University.

6-Ullendorf. E.(12960) : The Ethiopians , an Introduction to Country and Peoole " Oxford University - London.